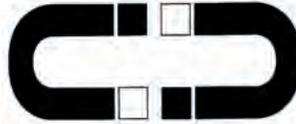


## الفصل السادس

### المتفائل يقدم حلاً لكل شيء



لقد قيل: إنه عندما لا تسير الأمور على ما يرام فلا بد أنك نهضت من السرير من الجانب الخاطئ. أول ما يواجهه معظمنا صباحاً خياران بسيطان: هل أغادر السرير من الجانب الأيمن أو الأيسر؟ وحتى عندما يكون سريرك ملاصقاً للجدار. على كلٍّ دعني أتخيل أن سريرك له جانبان تختار بينهما. لنأمل الآن هذه الحكاية الرمزية عن غلام اكتشف أن اختياره للجانب الذي يغادر منه الفراش هو مشابه للجو الذي سيعيشه طوال اليوم.

اسم الغلام أوليفر: عندما كان فتى صغيراً كان يكره اتخاذ القرارات. في كل صباح يستعد فيه للذهاب إلى المدرسة كانت أمه تختار له المعطف الذي يرتديه. كان مشاكساً ويرفض النصيحة. يخرج من الخزانة معطفين أو ثلاثة ثم يجلس على الأريكة لدقائق أو أكثر يعاني من اتخاذ القرار، أيهما يرتدي. في نهاية المطاف تأتي أمه وتلفه بمعطف وتدفعه خارج الباب. في نهاية النهار يتوجه أوليفر إلى البيت عائداً من المدرسة، لا يستطيع اختيار صديق يسير معه، لذلك يعود وحيداً. ثم يواجه القرار

المخيف: هل يأخذ الطريق القصير الوعر خلال الغابة أو الطريق الأطول والأكثر أماناً عبر البيوت المجاورة. وعلى مر السنين أصبح سلوك أوليفر همماً دائماً لوالديه. قال له والده ذات يوم: أنت ولد مزاجي. إن أكثر ما يزعج في النزاع الداخلي لهذا الفتى المزاجية التي تتجم عنه. هونارة سعيد وتارة حزين عندما يهطل المطر في الربيع يتمنى ألا يهطل لكي يخرج ويلعب الكرة. وعندما لا يهطل المطر كان دائم القلق على الورد التي زرعها هو ووالدته لتجميل الحديقة؛ خشية أن تموت. لم يستطع أوليفر أن يقرر من يحب ومن لا يحب. يشكو من زميل في المدرسة ثم يشكو من آخر. كان يتمنى لو يعاملونه بطريقة أفضل ولكنهم لم يفعلوا. ثم يقرر عدم الاكتراث.

تأثرت دراسته: بعض الكتب تصيبه بالضجر وبعضها يستمتع بقراءتها. أكثر الكتب التي كان يكره قراءتها هي الكتب التي يطلب منه أستاذه قراءتها. كان متمرداً على فكرة «الإلزام». وأخيراً نصحه والده بحزم قائلاً: يا بني، يبدو أن حياتك أصبحت محشورة بين شيئين، صخرة قاسية وجدار قاسٍ. تعتقد أنك لا تبالي ولا تكثرث سواء عملت أم لم تعمل. حاول ألا تكون متقلباً هكذا.

استلقى أوليفر ذات ليلة في الفراش ينظر إلى النجوم عبر نافذته. لقد تعلم أن الطفل يمكنه أن يتمنى على نجمة وتتحقق هذه الأمنية. أحب هذه الفكرة برغم عدم إيمانه بها ولكن مع ذلك قرر المحاولة. شد قسماات وجهه وهز كتفيه وهو ينطق أمنيته: «آه أيتها النجمة السحرية! اجعلي من

السهل علي أن أقرر؛ كي لا أكون متقلباً ثانيةً ثم تنهد بشعور من الارتياح وغطاً في نوم سريع».

في منتصف الليل دخلت فراشة من خلال النافذة وبدأت تطير بنعومة خلال الغرفة ثم حامت حول سرير الفتى النائم. شعر أوليفر بالغريزة أن هناك شيئاً ما. فتح عينيه ببطء؛ ليرى ما هذا الشيء. استغرب فقط ولم يشعر بصدمة. شيء ما في توهج الفراشة كان يعطيه إحساساً بالراحة. فتح عينيه وتحدثت الفراشة برقة: «أوليفر أتيت لأمنحك أمنيتك». جلس أوليفر ومسح آثار النوم عن عينيه. أراد أن يتأكد من فهم ما قالتها الفراشة. انتقلت الفراشة إلى جانب الغرفة وتحولت فجأة إلى جنية جميلة، وعرفت بنفسها: «مرحباً أوليفر اسمي ميري». ابتهج أوليفر وطلب منها بلطف أن تعيد ما قالتها قبل لحظات، وفعلت ميري ذلك. ثم تابعت: «أوليفر لن تواجه طوال حياتك أكثر من قرار واحد كل يوم، وهذا القرار هو ببساطة من أي جانب من السرير ستنهض صباحاً. يمكن أن تتدحرج يميناً أو يساراً وحالما تفعل ذلك فكل قرار آخر في ذلك اليوم سيتخذ نيابة عنك. إن الأمر بهذه السهولة». فهم أوليفر ما وعدته به هذه الجنية وكان مسروراً من سهولة هذا الحل. وكان في نفس الوقت فضولياً وأراد أن يعرف كيف ستكون حياته إذا اختار اليمين أو اليسار. لذلك سألها وتابعت شرحها قائلة: «أيها الفتى، هذا سؤال جيد؛ لأن هناك قواعد عليك معرفتها وهذه القواعد هي الآتية:

الحياة على الجانب الأيسر	الحياة على الجانب الأيمن
<ul style="list-style-type: none"> <li>● عندما تستعد للذهاب إلى المدرسة في صباح شتوي، ارتدِ معطفاً صوفياً واحداً دافئاً وهذا كل شيء. ستكون قلقاً؛ لأن المعطف قديم أكثر من المعاطف التي يرتديها الأطفال الآخرون.</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>● عندما تستعد للذهاب إلى المدرسة في صباح شتوي، ارتدِ معطفاً صوفياً واحداً دافئاً وهذا كل شيء. ستحبه لأنه طري ومريح.</li> </ul>
<ul style="list-style-type: none"> <li>● عندما يحين وقت عودتك إلى المنزل، امش وسط الغابة ولكنك ستكون قلقاً من تلك الحيوانات الضارية التي تختبئ في الجحور.</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>● عندما يحين وقت عودتك للمنزل امش وسط الغابة. الحيوانات ذات الفراء التي تعيش في الجحور ستثير فضولك.</li> </ul>
<ul style="list-style-type: none"> <li>● إذا نهضت من الجانب الأيسر فستكون حزيناً أحياناً. ولكن أمك ستجلب الراحة لك.</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>● إذا نهضت من الجانب الأيمن فسيكون يومك سعيداً غالباً. وستسعد أمك أيضاً.</li> </ul>
<ul style="list-style-type: none"> <li>● ستمطر في الربيع وستكون السماء كثيية متجهمة.</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>● ستمطر في الربيع وسيكون الهواء منعشاً.</li> </ul>
<ul style="list-style-type: none"> <li>● ستعرف الأصدقاء الذين تحبهم أكثر من غيرهم ولكن تتساءل إذا كانوا يحبونك.</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>● ستعرف الأصدقاء الذين تحبهم أكثر من غيرهم وتكون شاكراً على محبتهم لك أيضاً.</li> </ul>
<ul style="list-style-type: none"> <li>● سيعطيك أستاذك كثيراً من واجبات القراءة. يبدو أنه لا يوجد ما يكفي من الوقت لقراءة كل ذلك.</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>● سيعطيك أستاذك كثيراً من واجبات القراءة وبدافع الفضول ستقرأ حتى وقت متأخر من الليل وأنت تنعم بدفء الأغطية.</li> </ul>

أنهت ميري الجنية تعليماتها. شعر أوليفر بالحيرة قليلاً. تتأبى ولمس رأسه وهو يفكر: يبدو أن الجانبين متشابهان ولكن مع ذلك فهما مختلفان. سأفكر في ذلك. تابعت الجنية قائلة: «أوليفر الأمر بسيط، الجانبان مثل بعضهما، الفرق الوحيد هو وجهة نظرك. يمكنك أن تقر في كل صباح أي منظر أو رؤية لهذا العالم تناسبك أكثر. وهذا الأمر عائد لك». بعد أن قالت ميري تلك الحقيقة تحركت باتجاه النافذة. أوليفر ما زال يحاول أن يفهم. «ميري والدي يدعوني بالمتقلب وأنا لا أحب ذلك. إذا اخترت أن أتدحرج إلى اليسار أو إلى اليمين كل يوم فلن أكون متقلباً بعد الآن؛ لأنني عندها سأكون قد اتخذت قراراً. ميري هل هناك كلمات تصف أولئك الذين يعيشون على الجانب الأيسر وأولئك الذين يعيشون على الجانب الأيمن؟». «نعم أوليفر الذين يختارون اليسار يشار إليهم على أنهم متشائمون، والذين يختارون اليمين يعرفون عادة بالمتفائلين». وهنا لدي شيء مهم يجب تذكره. في الوقت الذي تعد الكلمتان متشائم ومتفائل كلمتين وصفيتين تساعدانك على فهم نفسك إلا أنه من الأفضل ألا تلصقهما بالآخرين. سمهم بأسمائهم. معظمهم يختار اليمين أو اليسار من يوم لآخر؛ حتى يكتشفوا أياً منها يناسبهم. هذا القرار يأخذونه بأنفسهم.

«ميري، هل الصواب أن نكون متفائلين والخطأ أن نكون متشائمين؟»  
«هذا سؤال جيد. هذه الفكرة المتعلقة بالجانب الأيسر أو الأيمن ليست حول الخطأ والصواب. أفضل الناس يختار أحياناً الجانب الأيسر. وقد يختارون أن يكونوا حزينين أو مجانين. الأمر يتعلق بالجانب الذي يناسبك في كل يوم تسير فيه. هذا قرارك وعليك اتخاذها».

أوليفر لدي أمر واحد أريد قوله: «حالما تختار الذهاب يمناً أو يسرة تذكر أنه أنت الذي تخلق العالم الذي ستعيشه ذلك اليوم. تنكر ذلك أحياناً ولكنه صحيح. لا يمكنك وضع اللوم على الآخرين فيما تفعله. لا أحد يخلق لك عالمك، أنت فقط من يقوم بذلك». وهنا اقتربت ميري أكثر من النافذة. كان لدى أوليفر سؤال آخر. «ميري، ماذا لو اخترت اليسار صباحاً وأردت الانتقال إلى اليمين فيما بعد؟ هل يمكنني التغيير؟».

أجابت ميري: «نعم تستطيع ذلك. حرك جفون عينيك كما لو أنك استيقظت للتو وقل لنفسك أن تختار أن تغير الجوانب وسيتم ذلك». وهنا تحولت الجنية إلى فراشة وطارت خارج النافذة مخفية عن الأنظار. نهض أوليفر من سريره؛ ليستعد للذهاب إلى المدرسة.

### الصراع الداخلي:

هناك بعض الصراعات التي نعيشها في الحياة الصراعات الداخلية، حيث يقرر كل واحد منا ما الذي يؤمن به ثم يختار آراءه ونظرته للحياة. هل كنت ذات مرة مزاجياً متقلباً أو ضعيفاً؟ لقد كنت أنا كذلك. هل مال مزاجك من الجانب الأيسر إلى الجانب الأيمن؟ مزاجي أنا مال وتغير. هذه ميول إنسانية طبيعية. إنها ليست خطأ أو صواباً، جيدة أو سيئة. إنها تكشف عن صراع داخلي بين ذواتنا المجازفة وذواتنا الحريصة التي ستتعرف على المزيد منها في الفصل اللاحق. إنه ذلك التوتر القوي الذي نعيشه عندما نواجه خيارات علينا اتخاذ القرار بشأنها. جميعنا عُرضت علينا صورة ذلك الشخص وعلى كتفه يجلس ملك صغير وعلى الكتف الآخر يجلس شيطان صغير ونعرف تلك الكلمات: «يمكنني أن أفعل هذا، ولكن يمكنني من جهة ثانية أن أفعل ذلك». إننا نعرف أنه عندما

نحل نزاعاتنا الداخلية، فإننا نعيش حالة أعظم من هدوء الفكر. وكلما كان النزاع الداخلي أقل كلما كان التعامل مع النزاع الخارجي أسهل. كما فعل أوليفر الشاب علينا اتخاذ القرارات واختيار ما نعتقد أنه من الأفضل والمناسب لكل موقف نواجهه. ما هو الحل إذاً؟ هذه خطوات خمس سندرسها.

1- تعرف على صراعاتك الداخلية - الورطات التي تواجهها - اقبل هذه الصراعات أنها أمر عادي طبيعي. اعمل على أن توفق بين وجهات النظر المتعاكسة؛ لكي ترى التداخل الإيجابي للأفكار ولتكسب نفاذ البصيرة من كل تلك الانطباعات التي تحصل عليها.

2- اختر جانب السرير الذي ستخرج منه. ادرس قواعد ميرى [الجنية] التي علمتها للشاب أوليفر في الفصل السابق؛ لكي تفهم المضامين الدقيقة لوجهة نظر المتشائم وتباينها مع وجهة نظر المتفائل.

3- صمم على ألا تكون متردداً. واجه الخوف واختر التقدم إلى الأمام. قد تتحرك حذراً في البداية ومع ذلك تحرك إلى الأمام.

4- تعلم كيف تشرك الآخرين عند الحاجة. اكتشف جواب المتفائل على كل شيء وهو: «نعم» وتعلم كيف يكون ذلك قابلاً للتطبيق. هذا ما سيتم شرحه بالتفصيل فيما بعد. ضع خططك واستعد للقيام بالعمل.

## معضلات - ورطات:

ماذا يقصد بعبارة «علق على قرني معضلة». أي هو في حيص بيص. تصور ثوراً ذا قرون طويلة ضخمة. يمكننا أن نتخيل الضيق الناجم عن

قرن واحد، فما بالك إذا علقنا على اثنين منها؟ ذلك موقف صعب حقاً. يقول قاموس Random House: إن الورطة أو المعضلة هي موقف يتطلب اختياراً بين بديلين أحدهما مر، كلاهما لا نرغبه. هذا المفهوم يمكن أن يساعدنا أحياناً على أن نلقي مزيداً من الضوء على الصراعات الداخلية التي نشعر بها. ومن الإنصاف القول: إن بعض المعضلات ليست بالضرورة مواقف سلبية. قد تكون البدائل غير مرغوبة منطقياً أو قد تبدو أنها غير مرغوبة؛ لأننا لا نحب مضامينها. قد يرهبنا التغيير أو العمل الذي يطلب منا عندما نختار بديلاً أو أي أمر آخر. إذاً لنتفق في هذا الفصل على أن الورطة هي موقف يكون الاختيار فيه بين بديلين أمراً صعباً. السؤال هو كيف نتجنب الوقوع في حيص بيص. كما يقال ونكون عاجزين عن اتخاذ القرار أو القيام بالعمل والتحرك؟ إننا جميعاً مذنبون ببعض من أشكال النفي والنكران: قد نختار أن ننكر أن بعض وجهات النظر ومسارات العمل البديلة تكون غير مريحة في البداية ولكنها قد تكون فعلياً ضرورية وجديرة بالدراسة كي تكون مفيدة لنا. نحن نجد من السهل علينا رفضها.

ولكن إليك هذه التذكرة البسيطة: احتفظ بحكمك على الأمور. غالباً ما نشعر بأننا مدفوعون للعمل في الوقت الذي علينا التريث لدراسة الموقف ومعرفة كنهه. إليك هذا المثال: إذا كنت تشعر بالإحباط في عملك؛ لأنه لديك الكثير من العمل للقيام به، ووضع رئيسك أمامك كومة أخرى من أعمال لتقوم بإنجازها. احتفظ بالحكم. في البداية ليس هناك شيء في داخلك سوى الاضطراب. تشعر بصراع حول ما يجب أن تفعله: هل تتحمل هذا العبء الإضافي كما يفعل الجندي المثالي أو تكون متمرداً وتقول لرئيسك: إنك مشغول جداً وإن هناك شخصاً آخر يمكن أن يساعد في هذا العمل، هذه هي الورطة.

في الوقت الذي اكتسبنا حكمة الحياة، فقد اكتشفنا أننا إذا لم نفرط في رد الفعل وجلسنا وحللنا الموقف فسنرى أنه ليس هناك شيء كما كان يبدو لنا أولاً. ربما هناك طريقة للحصول على المساعدة؛ كي تقوم بما طلبه منك رئيسك. ربما هناك حاجة لتغيير أولويات عملك. قد يكون من الضروري إجراء المزيد من الحديث مع رئيسك عما يوجد أمامك فربما يوافق على إعادة ترتيب الأولويات بحيث يمكنك تأجيل بعض الواجبات لوقت لاحق. وكذلك عليك أن تسأل نفسك: «هل أدرك الأهمية الحقيقية لما طلبه مني رئيسي القيام به؟ كيف يمكن أن أستفيد من ذلك فعلياً».

### تردد وخوف:

عادة عندما يكون هناك تردد يكون هناك خوف. الخوف يوقف تقدمنا. ثم نماطل. نأمل بطريق للخروج أو بإنقاذ من نوع ما. دعتني أفترض أن الأمل هو مهاملة مقنعة والمماثلة كذلك أسلوب لتجنب معالجة الحقيقة، والحقيقة هي: ما يتطلبه منك العمل لتغيير شيء ما، وتجاوز بالقيام ببعض الأعمال التي لا تحبذ أن تقوم بها.

قبل عدة سنوات عثرت على كتاب عنوانه يلفت الانتباه: «أشعر بتحسن كبير بعد أن تخلّيت عن الأمل». تأمل في هذا، في كل المواقف الأمل لا يغير حقيقة الأشياء. عندما يكون لديك الأمل فهذا يمثل شكلاً من التوقع الإيجابي ومع ذلك فإن ما تفعله أنت هو الذي يغير فعلياً الحقيقة التي تعيشها. لا تجعل افتراضي هذا فيما يتعلق بالأمل يحزنك. إن الأمر لا يتعلق بالتخلي عن النظرة المتأملية، ولكن التخلي عن الأمل لكي تتابع القرار والعمل. نعم جميعنا يحمل الأمل للإنسانية

وللسلام العالمي والإرادة الخيرة. وفي نفس الوقت يجب ألا نخلط هذه النظرة لعالم أفضل مع الرغبة بأن تزول الحاجة للعمل الحاسم. بعضنا يأمل بظروف أفضل بينما آخرون ينشغلون بخلق هذه الظروف لإحداث التغييرات التي نحتاجها.

أفكر في تلك الشابة التي كانت تأمل أن تقبيل ضفدع سيأتي بأمير وسيم. وبينما هي منشغلة بتقبيل الضفدع مرَّ الأمير، احتار إزاء هذا المشهد وضاعت فرصتها بلفت انتباه الأمير الوسيم. مواجهة الخوف قد يكون ثاني أروع الأمور التي يمكن للإنسان القيام بها، لأنه يحررنا لكي نقوم بالعمل الإنساني الأول والأكثر إثارة ألا وهو «التفكير». عندما نفكر بدل أن نقلق ونهتاج، نجد الحلول وندرك أن ما كنا نخشاه كان المجهول. وحالما ندون ما نخشاه فإننا نحصل على بعض المعطيات الجديدة وبعض النصائح، ويمكن أن ندرس الخيارات ونضع خطة. عندما نقوم بذلك تزول معظم مخاوفنا. ذلك الذي كنا نأمله كان شيئاً لنا القدرة على إيجاده. لذا نقرر أن نقوم بهذا العمل.

### أي جانب من السريير؟

تعلمنا من أوليفر أن الجانب الأيسر هو جانب المتشائم والجانب الأيمن يخص المتفائل. إذاً ماذا يمكننا أن نعرف عن كل وجهة نظر من هاتين لكي تساعدنا على أن نقرر؟

أبسط تفسير هو الآتي: المتشائم يرى العقبات، بينما يرى المتفائل الاحتمالات أو الإمكانيات. وقد تسأل: أليس هناك عقبات بالفعل؟ بلى. ولكن المشكلة هي أن المتشائم يقف أمام هذه العقبات كما لو أنها جدار إسمنتي

ارتفاعه عشرون قدماً يصطدم به وربما هذا كل ما يراه - الجدار - من جهة أخرى، كونك متفائلاً ليس معناه العيش في عالم سحري. ليس هناك تفاؤل. هذا غباء وسذاجة. المتفائل الحقيقي يدرك أن هناك عقبات ولكنه يبحث عن الطريق للالتفاف حول هذه العقبات. ربما تسأل نفسك فيما إذا كنت واقعياً عوضاً عن كونك متفائلاً. وإليك تحليلاً بسيطاً إذا كانت تمطر في الخارج قد يقرر الواقعي البقاء في السرير. الواقعي ليس سلبياً أو متشائماً إنه يستسلم للظروف ويفعل ما هو ملائم لتلك اللحظة.

أن تكون واقعياً يبدو جيداً إلى أن تصل إلى اجتماع حيث يتطلب الأمر استطلاعاً لأفكار خلاقة مع فريق عملك. هنا يعلن الواقعي: «تعالوا لنكن واقعيين». تلك الكلمة «واقعيون» تستطيع إيقاف فريقك عن العمل فجأة. كونك واقعياً هي ذريعة لعدم المجازفة. إذا اعترض تفاؤلك فإنك لا تنكر وجود الواقعية، إلا أن إبداعك يقول لك: إن الواقع يمكن أن يتغير. يصبح المستحيل ممكناً بفعل إرادتك وعملك.

وهنا جوهر الحكمة: في أوضح نظرة للأشياء، يتضح أن المتفائل هو الواقعي الحقيقي؛ لأن الواقع هو وجود إمكانيات غير محدودة لحل أي مشكلة نتخيلها. دعني أوضح. سأعش ذاكرتك حول حادثة بطولية مذهلة في القرن العشرين. هل تتذكر قصة أبولو 13 المشؤومة في رحلتها إلى القمر التي أعيدت إلى الأرض بعمل بطولي لقائد متفائل في مركز القيادة لهذه المهمة؟ وهل تتذكر المقدم الذي سأل مهندس الحاسوب: ما هي احتمالات عودة رجال القضاء سالمين؟ وكانت الإجابة: إن احتمال بقائهم أحياء في هذه المحنة هو صفر. وكان جواب المقدم مؤداه الآتي: «لن يموت أي رائد فضاء أثناء مدة مراقبتي. لنبدأ العمل».

استدعى فريق عمله إلى غرفة الاجتماع للتدقيق في المشكلات التي واجهت رجال الفضاء وعلموا أن هناك نقصاً في الأوكسجين في مركبة القيادة. سأل المقدم: لماذا لم يكن ممكناً تحويل الأوكسجين من مركبة الإنزال القمرية التي ما زالت مرتبطة بمركبة القيادة. أجاب أحد أعضاء الفريق: إن هناك مصفاة مغلقة ولا يوجد مصفاة بديلة. قائد الفريق المتفائل هذا أصدر أمراً مؤداه الآتي: فكروا في مساعدة الرواد على صنع مثل هذه المصفاة. لو كنت واحداً من هؤلاء الرواد الثلاثة من ترغب أن يكون مسؤولاً في غرفة التحكم الأرضي، المتشائم، أم الواقعي أم المتفائل؟ المتشائم كان سيقول: «هذا محزن بالفعل. كان محتماً أن يحدث ذلك عاجلاً أم آجلاً. إنه يدل على المخاطرة التي قمنا بها لبرنامج أبولو هذا».

أما الواقعي فكان سيقول: «لنقم بالاستعدادات لهبوط اضطراري. ربما يمكن نجاة أحد منهم. سنكون مستعدين لمساعدة أسر رواد الفضاء والشعب الأمريكي على التعامل مع هذه المأساة. هذا أقل ما يمكننا فعله». صحيح تماماً.

أما المتفائل فكان سيقول: «لنبدأ العمل. لدينا الوقت الكافي لعمل أشياء كثيرة، فلنحاول لن نستسلم حتى يصل هؤلاء الرواد إلى الأرض سالمين». هذه القصة الحقيقية توضح قوة التفكير. الإيمان يختلف عن الأمل. الأمل هو دائماً حول طريقة سهلة للخروج أو لمعالجة غامضة. الاعتقاد أو الإيمان هو التغلب على العقبات أو تجاوزها ورؤية ما لا يراه الآخرون. يفتح الإيمان نوافذ جديدة تركها الآخرون مغلقة.

الاعتقاد أو الإيمان يعلن أنه ليس ثمة شيئاً مستحيل حتى تحاول وتكتشف ذلك. وفي المحاولة تنفتح فجأة نوافذ جديدة تتحرك وتقترب من حل قد ينجح. وعندما تنفتح مثل تلك النوافذ فأنت تسمى عبقرياً. وبعضهم يسمي هذا معجزة. المعجزة هي قوة الاعتقاد والإيمان. عبقريتك كانت في عدم الاستسلام. العقبات لا تردعك. لقد عرفت أن لديك ما يكفي من الإيمان كي تكون شجاعاً. الواقعي يعرف الكثير جداً. إنه ينشغل بإعداد قائمة لمئات من المشكلات لتبرير عدم نجاح عملٍ ما. يشكر المتفائل الرجل الواقعي على هذه القائمة ويعمل على منع حدوث مثل هذه المشكلات المحتملة، ثم يطلب من بقية فريق العمل البدء بالتجارب، التجارب تتطلب إيماناً عظيماً. نشكر الله على وجود المتفائلين بيننا؛ لأن تجاربهم توسع آفاقنا.

### أشرك الآخرين:

إن اعتناق فلسفة: «رأيان أفضل من رأي واحد» هي فرصة كبرى لتوسيع إبداعنا، وللتقليل من نزاعاتنا، وفي الحقيقة نكتشف الاحتمالات غير المحدودة عندما نطلب من الآخرين المشاركة في مناقشاتنا لحل مشكلة ما. ومن خلال خبرتي خلال السنوات أستطيع القيام بهذا التمرين البسيط، والنتيجة يمكن التنبؤ بها.

اطلب من مجموعة من الناس القيام بمهمة حل مشكلة بسيطة كأفراد وحدهم وليدونوا ما يستطيعون التفكير فيه من حلول خلال 90 ثانية. العدد الوسطي للحلول هو ستة حلول ثم اطلب من هؤلاء الأفراد العمل على نفس المشكلة كمجموعات صغيرة وأن يتعاونوا بنفس الفسحة من

الوقت. عندما تتم هذه المجموعات عملها، فإن المعدل الوسطي للحلول لكل مجموعة هو خمسة عشر حلاً. ومع الوصول إلى التفكير الموسع لفريق صغير فإن كل شخص في الغرفة يكون قد زاد من معرفته للحلول الممكنة بنسبة 250 بالمئة. وهذا العمل ينجح في كل مرة. وأعطيكم وعداً، نسمي أي مشكلة كنتم تعانون منها وأعطوني 90 ثانية وكراساً وثلاثة أو أربعة أشخاص وعندها سيكون عدد الحلول المتاحة للنظر فيها ثلاثة أضعاف.

### جواب المتفائل:

«قوة الأضداد» هو واحد من الموضوعات المركزية لهذا الكتاب، أي عندما تتصادم الأضداد تكون هناك طاقة داخلية. كما سنتذكر سيكون الموضوع كيف تصبح سيد الثنائيات. (لدينا المزيد حول ذلك في الفصل الآتي) لنشرح كيف تعمل الثنائيات وهي ليست مثل العضلات أو ما نسميها الورطات، بالنسبة للثنائيات الأمر لا يتعلق ببديلين غير مرغوب بهما، أو فيهما كثير من التحدي، وإنما يتعلق بفكرتين أو مسارين لعمليين يبدوان متنافرين للوهلة الأولى. مثلاً لنفترض أنك عُيِّنت مسؤولاً عن مشروع ووجهك رئيسك لأن تكون حازماً. أي أن تكون ضمن الخطة الموضوعية وضمن الميزانية، ثم في حديثه عن الزبائن قال كلاماً آخر. (بالمناسبة لا تتس أن تكون مرناً في التعامل مع زبائننا). قد تحتار بهذين التوجيهين المتعارضين ظاهرياً. يجيب المتشائم: كيف يفترض أن أكون حازماً ومرناً في نفس الوقت؟ أما الواقعي فيحلل بعقله: (سأشرح هذه القواعد لزبائننا وإذا كان علي الاعتراض على الخطة أو الميزانية فمن المحتمل أن يتقهم ذلك رئيسي، على كل، من الأسهل طلب العضو لا طلب الإذن).

أما المتفائل فسيجيب: «كيف سأكون حازماً ومرناً؟» الجواب «نعم، سأكون. لا أعرف كيف بالضبط ولكن سأكون كذلك» كما ترى. يبدأ المتفائل بالبحث عن توافق بين هاتين الفكرتين المتعارضتين ظاهرياً. يعرف المتفائل أن هناك قيمة وفائدة في المرونة والحزم وأنه لا حاجة لأن تكون هاتان الفكرتان متعارضتين. إذاً ما الإجابة؟ يجب أن تكون حازماً بالنسبة لما شرعت القيام به ومع ذلك أن تشعر بالحرية لأن تكون مرناً فيما يتعلق بطريقة القيام بهذا العمل. إن لك رأياً وهو أن تعقد الصفقات وتبحث عن فاعليات الخطة التي تمكنك من القيام بالمزيد ضمن الوقت المخصص. لنفترض أن أحد زبائنك طلب منك أن تُقصر مدة تسليم البضاعة وافترضاً أن البقاء ضمن الخطة يعني ألا نضيع المواعيد النهائية، فهنا تدرك أن الاهتمام بهذا الزبون الواحد في وقت مبكر أمر لا بأس به وقد تشتري به بعض الوقت الإضافي لخدمة زبائن آخرين لهم طلبات أكثر تعقيداً، وهكذا فإنك ترضي زبونك الفوري وتزيد أيضاً من احتمالات تلبية توقعات رئيسك على المدى الطويل.

الرسالة هنا إذاً ألا نبالغ في ردة الفعل تجاه الثنائيات استناداً إلى قيمتها الظاهرية.

اختبر كل الاحتمالات التي تمكنك من الحصول على الكعكة وتناولها أيضاً.

والآن لنعد إلى أبولو 13 لبضع دقائق. قال الفينيون للمقدم: إنه ليس هناك من وسيلة لعودة رواد الفضاء إلى الأرض في مسار يهبطون به سالمين. وأجابهم قائلاً: «لن يموت أي رائد فضاء أثناء نوبتي» ثم تتبعه بالسؤال:

سيدي، كيف تقترح أن نقوم بذلك؟ وقد تكون إجابته: «نعم سنفعل ثانية». ماذا يعني مثل هذا الجواب مرة ثانية؟ يعني أنه لا يعرف تماماً كيف في هذه اللحظة بالذات ولكن التزامه واضح: ألا يستسلم حتى يبذل جميع الطاقة الخلاقة. سيعمل طوال الليل لكشف إمكانيات لم يكن لدى أي شخص آخر الإيمان بأنها موجودة. الجواب بكلمة نعم، التأكيد على التزامه النهائي والمطلق. أذكر أنني سمعت محادثة سُئل فيها أحد ذوي الإرادات القوية عندما واجه تحدياً كاسحاً: كيف يمكنك الوثوق بأن هذه المقاربة ستنجح؟ كان الجواب: «لست متأكداً أنها ستنجح ولكنني متأكد من أنها لن تنجح». قد تحتاج هذه العبارة قراءة ثانية. هذا قول رائع يقصد به «لن أتخلى عن إبداعي الخاص، حتى أستنفد كل الاحتمالات».

### طغيان «أو»:

يتحدث جيم كولينز في كتابه المميز وعنوانه «بني ليدوم» عن طغيان كلمة «أو». إننا نقع فريسة منطق مغلوط وهو: نستطيع أن نفعل فقط هذا أو ذلك. أي إما أن نكون هذا أو ذلك. التحدي هو أن نكتشف العبقرية في كلمة «و» بعبارة أخرى نقول: نستطيع أن نفعل هذا أو ذلك ونحن بحاجة لأن نكون هذا وذلك. طغيان كلمة «أو» هو أننا نجرح أنوفنا لنغيظ أنفسنا أو كما يقال نسيء لأنفسنا بأنفسنا. بتقييد أنفسنا بجانب واحد من معادلة «أو» فإننا نقتطع فوراً نصف الأفكار المحتملة ونصف الاحتمالات لحل مشكلاتنا.

وكما تعرف أحب تلك الأسئلة ذات الخيارات المتعددة وتقول: اختر أ - ب - ج أو كل ما سبق. في الحياة غالباً ما نجد أنفسنا في صراع حول

فكرتي ضد فكرتك في الوقت الذي تحتاج الإجابة أن تكون كل الخيارات معاً أ ب ج. هناك عناصر بفكرتي عندما تتحد مع عناصر من فكرتك فإننا نتجه نحو حل أكثر شمولاً وأكثر إبداعاً. لهذا السبب أوصي الفرق المشغلة في حل مشكلة أن يتجنبوا لغة «أختلف معك» أو «ذلك لن يجدي لأن» و عوضاً عن ذلك استخدم لغة مثل «سمعت فكرتك وأحب أن أضيف وجهة نظر أخرى إذا أمكن». هناك فرق بين «التفكير الانتقادي» و«التفكير التحفظي». يختبر التفكير الانتقادي المشكلات المحتملة أو العيوب في فكرة ما. مثل هذا التفكير مفيد في المواقف التي تحتاج حلاً للمشكلات المتأصلة لتجنب المآزق والصدمات. التفكير التحفظي من جهة ثانية طريقة عمل أفضل بكثير لتحفيز الإبداع. وهو أسلوب مماثل لهذا القول: «إنها فكرة مثيرة للاهتمام وربما تكون مجدية لو...» هل ترى هذه الكلمة الصغيرة «لو» عوضاً عن عبارة «تلك الفكرة لن تنجح بسبب».. يختبر التفكير التحفظي الظروف التي يمكن أن تنجح فيها الفكرة التي تبدو غريبة وتحمل في طياتها مشكلة، إن الفكر التحفظي يحاول ألا يضيع الإمكانيات الكامنة في فكرة ما. وبالمقابل كم من فكرة جيدة أزالها الانتقاد والتمحيص من الوجود.

من قبل كان لدى الواقعيين الكثير ليقوموا به وكانوا بحاجة لمبرر لإسقاط فكرة أخرى جديدة، لم يكن لديهم الوقت للبحث فيها: وربما سائل يسأل: «كيف نقترح القيام بذلك على أي حال؟» حدق في عيونهم وقل: «نعم أنا أقترح بالفعل أن نقوم بذلك، وسأكون بحاجة لمساعدتكم لاستخلاص طريقة لإنجاح هذه الفكرة».

## مثالي وساذج:

هناك تيار جانبي تشعر به وأنت تقرأ هذا الكتاب وتشارك مبادئه مع الآخرين هناك أناس سيقولون: كل هذه الأشياء المثالية ساذجة أحياناً. العالم من حولنا صلب وقاسٍ. وسيقول آخرون: كتاب تشيكييتس هذا «الصراع الإيجابي» مثالي أكثر مما ينبغي، العالم لا يسير هكذا بهذه الإيجابية. ثم يسألون: «هل تعتقد أن هذه الأفكار يمكن أن تتجح؟ لأن عليك أن تتذكر من أي جانب من السرير تختار النهوض». وها هي طريقة يمكن اختيارها للرد على أولئك الرافضين. لست متأكداً أن مبادئ الصراع الإيجابي ستجح في كل الأوقات. ولكنها على الأقل تستحق المحاولة. ما هي البدائل؟ أن تختار البدائل العاجزة - لا أستطيع - أو أن نستسلم؟ إنني متأكد من أنني لا أعرف أن هذه المبادئ لن تتجح حتى أطبقها لأكتشف ذلك.

## الخاتمة:

ها هي نتيجة كونك متفائلاً: هناك دراسات تثبت أن المتفائلين أكثر صحة وأطول عمراً من المتشائمين. المتفائلون يستمرون في الزواج مدة أطول من المتشائمين، إنك قد لا تحتاج إلى دراسة لتستتج ذلك. يمكنك أن تسأل أولئك المتشائمين الذين تزوجوا ذات مرة.

المتفائلون أكثر ثباتاً في وظائفهم من المتشائمين. اسأل أولئك الذين بقوا في عملهم ماذا كانوا يحبون فيه. ثم اسأل أولئك الذين تركوا لماذا استقالوا. ما هي الرسالة الخاصة بالنسبة لتعاملاتك اليومية مع الآخرين؟ هل تفضل أن تسير في هذه الحياة مفترضاً أن الآخرين مزعجون، أو تزعم

أن الآخرين هم أولئك الذين تعتمد عليهم للنجاح؟ هل تفضل الحياة مفترضاً أن هناك خطأ سيئاً ينتظرك أو أن هناك شيئاً يمكنك القيام به لتحويل مجرى الأحداث في اتجاه إيجابي؟ هل تفضل الحياة وأنت تحمل شعار: النهاية قريبة، أم ترسم على وجهك ابتسامة تقول: «إذا أتت النهاية فأنا مستعد لما يأتي بعد».

